حسن المودن وعي منهجي أم حرفية منهجية

أ.إيمـان مـلال جامعة عباس لغرور ـ خنشلة

الملخص:

تتجلى قيمة هذه الدراسة في تسليط الضوء على المقترح المنهجي الذي برز به **حسن المودن** في أعماله النقدية التي تسمح بإبراز العناصر المختلفة التي تكوّن النص الروائي، موضوعات وأشكال وتقنيات وأساليب وتخييلات ولغات، ويجعل من الكتابة فضاء تخييليا يشرع نوافذه على المناطق الملتبسة التي تحف مشاعر وتجارب الذات (الكاتبة والقارئة) في عالم يمور بالتحولات والارتجاجات العنيفة؛ وفي هذا العرض نلمس تجريب نقد نفسي يتميز عن التحليل النفسي التقليدي في مقاصده وإجراءاته المنهجية، ويتعلق الأمر بمنهج التحليل النصي الذي يفتح الطريق ليصبح النص الأدبي هو بؤرة التحليل، دون إقصاء كلي للكاتب أو القارئ او السياق، وهو في ذلك يقتفي أثر **جون بليمان نويل** من خلال مؤلفاته –المودن- حول لا وعي النص ومنها: لا وعي النص في روايات **الطيب صالح**، الرواية والتحليل النصي قراءة نفسانية في قصة النبي يوسف (عقدة الأخو أولى من عقدة أوديب).

Abstract :

This study aims at traching the critical path of the Moroccan Critic HASSANE EL MOUADDEN whose passion appearse in the relashionship between Psychoanalysis and Literature and the efforts he made in the field of Arabic and Maghreb Criticism that led him to read both ; the Sigmund Freud Psychoanalysis which focusses on the author ; and the Charle Morone Psychicological Criticism that focusses on the text, as well as all the Arabic and Maghreb writings in this field in where he deduced an immense weakness and uncapability of dealiing with texts . This study is based on how to reach EL MOUADDEN Psychicological project which was inspired by the Critic **Jean Bellemin Noël** textual unconscious concept through al tayib Salah novels , the novel and the textual analysis ; Arabic novel «Readings from Psychoanalysis prospectus» ; Psychological Reading in the story of prophet YUSUF «Brothrhood complex before OEDIPUS complex

ينهض التحليل النفسي على مسلمة أساسية يقع على عاتق الفلسفة نقاشها، وإن تكن نتائجها تبرز قيمتها، فما يسمى بالنفسية يعرف عنه شيئان:

أولا: العضو البدني لهذه انفسية، مسرح عملها؛ أي المخ أو الجهاز العصبي.

ثانيا: أفعالنا الشعورية التي لنا بها معرفة مباشرة، والتي ليس لأي وصف أن تزيدنا بها علما، أما كل ما يقع بين هذين القطبين، فيبقى مجهولا علنيا وإن يكن بينهما ارتباطا ما. فليس من شأنه أن يمدنا بأكثر من تحديد دقيق لموضوع السيروروات الشعورية، من غير أن يتيح لنا فهمها.

تتصل الحياة النفسية بالحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وبكل المجالات التي يسجل فيها الإنسان حضوره، ويعلن في ذات الوقت عن مجموعة من الأعراض والاضطرابات التي تعترضه، وهو لا يدرك منشأها، ولهذا السبب وغيره ظهر اسم **سيغموند فرويد** الذي ارتبط اسمه مباشرة بالتحليل النفسي، باعتباره وسيلة لعلاج الأمراض العصابية، وتعتبر السيكولوجيا الفرويدية من أعقد النظريات، وقد تداخلت مبادئها، ومن ثم فمن الصعب أن تفهم دون العودة إلى ملابسات تطورها، خاص وأنها تعتمد على فكرتي الكبت والطفولة الجنسية.

طبق **فرويد** نظريته النفسية على الفن وتحديدا الأدباء المبدعين، باعتبار الفن "هو المضمار الوحيد الذي بقيت فيه كلية قدرة الأفكار قائمة إلى يومنا هذا، وفي الفن وحده يتفق للإنسان الذي تقض الرغائب مضجعه أن يفعل شيئا يشبه الإشباع، وبفضل الوهم الفني تؤتى هذه اللعبة المفاعيل الوجدانية عينها التي كانت ستأتي فيما لو كان الأمر حقيقيا"[1].

ومن النقاد والأدباء من قام بدراسة شخصيات أو نتاج أدباء وفنانين كبار مثل **شكسبير**، أو **بيتهوفن**، أو **دوستويفسكي** وغيرهم، (وما أسطورة الملك أوديب، الذي يقتل أباه ويتزوج أمه إلا ظاهرة لم يطرأ عليها تعديل كبير وفي صميم مأساة هاملت لشكسبير، تتكرر الفكرة عينها، فكرة عقد علاقة بمجرم، ولكن على نحو أفضل تنكيرا)[2]، وقد استفاد الناقد والباحث العربي من معطيات هذه المناهج في تحليل ظاهر الإبداع العربي، فقام **مصطفى سويف** بدراسة الشعر في أطروحته للدكتوراه "الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة"، ودراسة "المعري **للعقاد**، كما لا تعدم جهود النقاد المعاصرين في هذا المجال، فقد وصل التأثير إلى العراق بظهور دراسات **قاسم حسين صالح** حول الفنان **جواد سليم**، ورسالة **نجم عبد حيدر** الموسومة بـالأسس السيكولوجية للإبداع في العمل الفني، وفي لبنان بظهور دراسة كل من **إبراهيم فضل الله** في علم النفس الأدبي (مع نصوص تطبيقية)، وكذلك **جان نعوم طنوس** في التحليل النفسي لحكايات الأطفال الشعبية، وفي الجزائر برزت **عائشة بنت المعمورة** كمحللة في كتابها "دراسات سيكولوجية" معتمدة التحليل النفسي كإجراء للغوص في لا شعور البطل في الرواية الجزائرية، أما في المغرب فيظهر الناقد الأدبي **حسن المودن** في الطليعة لاهتمامه

الواضح بهذا المنهج مستعينا بأطروحات **فرويد** كبداية لتأسيس منهج خاص به؛ ويظهر ذلك في كتاباته ومقالاته حول هذا الموضوع.

حسن المودن –وعي منهجي أم حرفية منهجية

تبرز قيمة هذه الدراسة في إبراز المنهج الذي اتبعه **حسن المودن** في كتاباته، فهو ناقد مغربي عرف بإصداراته المختلف، ففي محال دراستنا هذه، له عدة أعمال أدبية من بينها:

- لاوعي النص في روايات الطيب صالح، قراءة من منظور التحليل النفسي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المغرب 2002.

- الرواية والتحليل النصّي، قراءات من منظور التحليل النفسي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف بالجزائر، دار الأمان، 2006.

ترجمة كتاب: الرواية البوليسية والتحليل النفسي، تأليف بيير بيار، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2015.

ترجمة كتاب: التحليل النفسي والأدب، لصاحبه جان بيلمان ـ نويل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 1996.

أما المقالات فهي:

"الرواية العائلية في روايات نجيب محفوظ"، في مؤلّف جماعي بعنوان: نجيب محفوظ والنقد المغربي، أعمال اللقاء الثقافي الذي نظمه مختبر اللغة والإبداع والوسائط الجديدة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل، 39 نوفمبر، 2013.

"تشخيص الواقع النفسي في قصص الخوري"، في مؤلّف جماعي بعنوان: ضوء على الأرخبيل، دراسات في قصص الأمين الخمليشي وإدريس الخوري، منشورات مجموعة البحث في القصة القصيرة بالمغرب، كلية اللآداب والعلوم الإنسانية ابن مسيك، الدار البيضاء، 2004.

"مسرحية: شهرزاد، قراءة من منظور التحليل النفسي"، في مؤلَّف جماعي بعنوان: قضايا تدريس النص المسرحي، سلسلة التكوين المستمر، تنسيق محمد الداهي، منشورات فضاءات مستقبلية، الدار البيضاء، 1999.

"رواية الضوء الهارب: قراءة من منظور التحليل النفسي "، في مؤلَّف: جماعي بعنوان: الرواية المغربية: أسئلة الحداثة، منشورات مختبر السرديات بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن مسيك ، الدارالبيضاء، 1996.

"قراءة نفسانية في قصة النبي يوسف، عقدة الأخوة أولى من عقدة أوديب"، مجلة تبيّن للدراسات الفكرية والثقافية، العدد العاشر، 2014.

"الأدب واللسانيات والتحليل النفسي"، مجلة: البيت، منشورات بيت الشعر في المغرب،عدد مزدوج: 23 ـ 24، ربيع 2014.

"الترجمة والتحليل النفسي"، مجلة: العربية والترجمة، عدد10، السنة الرابعة، صيف2012.

"هل يمكن تطبيق الأدب على التحليل النفسي؟"، مجلة الطرس، منشورات المركز التربوي الجهوي محمد الخامس بآسفي، عدد مزدوج 5-6 يناير 2011.

"الرواية البوليسية والتحليل النفسي: من قتل روجير أكرويد؟ (ترجمة وتقديم)، مجلة: فصول، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، عدد76، صيف خريف 2009.

"الحي اللاتيني: التحليل النفسي للأنا وبوليفونية المحكي"، مجلة: الآداب، عدد 4-5-6-، السنة 56، أبريل، مايو، يونيو، 2008.

تمثل دراسات **حسن المودن** امتدادا واعيا وممنهجا لمسار الناقد السوري **جورج طرابيشي**، الذي أدخل في بداية الثمانينيات والتسعينيات، تعديلا هاما وجوهريا في منهج التحليل النفسي، وفاجأ الأوساط النقدية بكتابين أساسيين، تناول فيهما بالدراسة النفسية عددا كبيرا من الأدباء، حيث يستغني تماما عن المنهج السابق الذي طبع به كتبه التي عولت على المنهج الفرويدي بكل مقوماته، ليعلن عن منهج أكثر دقة، وأكثر التزاما بالنص الأدبي، خاصة وأن النظرية النقدية السائدة قبل بلوغه هذه المرحلة، كانت تتعامل مع النص من فوق، ومن تحت، من الأمام ومن الخلف، ولكنها لا تنفذ إلى داخله، وإنما تكتفي بما هو ظاهر.

في ضوء هذا السياق، والذي أثار مشاحنات نقدية وإيديولوجية، بغض النظر عن النفسية، كشف الناقد **جورج طرابيشي** عن توجهه الجديد في كل من "الرجولة وإيديولوجيا الرجولة في الرواية العربية"[3]، و"الروائي وبطله -مقاربة اللاشعور في الرواية العربية"[4]، وهذان المشروعان هما اللذان أسس من خلالهما الناقد لمنهج يناقض منهج التحليل النفسي في كثير من أطروحاته، فكان النقد النفسي بدل التحليل النفسي الذي لا ينظر إلى النص الأدبي بقدر ما ينظر إلى صاحبه، وبالتالي فهذه الإسقاطات أثقلت النص الأدبي وجعلته وثيقة تاريخية تقريرية.

المودن ومرحلة النقد النفسي

يمثل النقد النفسي كما جاء به **شارل مورون** المنهج الجديد الذي ضمنه الناقد مشروعه النقدي الجديد، والذي يتسم بالموضوعية، التي تنصف العمل الأدبي، والأديب معا؛ وهذا المنحى يقترب كثيرا من دراسة **سيغموند فرويد** لقصة "غراديفا" لـ**ينسن**، فهي الاستثناء الوحيد في أعمال **فرويد** التي انطلقت من النص الأدبي ووصلت إليه من غير إقحام للحياة الطفلية أو الجنسية للمؤلف، إذ اعتبرها النقاد تحليلا أدبيا دقيقا يبتدئ بالنص وينتهي إليه، وليس فيه إطلاقا انتقال إلى دراسة شخصية الكاتب، فهي تقوم بذلك في نطاق الحالة المرضية التي تعانيها الشخصية الروائية، وليس شخص الكاتب.

مستويات التحليل النصي:

إن الاهتمام بالبنية الداخلية للنص –من قبل **فرويد**- هو الذي جعل هذا النوع من التحليل يمثل نقلة واعية في مثل هذه الدراسات، وهذا ما أعطى قصة "غراديفا" طابعا خاصا مكنتها من إدماجها ضمن الدراسات النقدية المحايثة، من هنا تأتي مشروعية انتسابها إلى حقل النقد الروائي.

هذا المسار هو بالتحديد، الذي عنى به **حسن المودن** في مؤلفاته، مقالاته التي تحمل هذا الطابع، مع أنه كان في البداية لا يستند في تحليله إلى النقد النفسي بكل حيثياته، وإنما كانت فيه بعض الممارسات التحليلية الفرويدية، التي تتقصى في بعض الأوقات حياة الأديب، وتقحمها في الحكم على النص الأدبي، إضافة إلى أنه كثيرا من الأحيان ما يستخدم مصطلح "التحليل النفسي" عوض النقد النفسي، -والفرق بينهما كبير- بالرغم من أن الإجراء يتضمن آليات النقد النفسي وليس التحليل النفسي (أي عدم الدقة في ضبط المصطلح).

الدراسة المحايثة:

إن التصور الذي طالعنا به الناقد، يؤكد على الطابع المحايث للدراسة، وبالتالي فهو تأكيد مباشر على أن **حسن المودن** تبنى نزعة مغايرة شق من خلالها طريقه لمسار جديد في النقد النفسي الذي يبحث في الأبعاد السيكولوجية للنص الروائي، ويعمل على إضفاء نوع من الحرية والتنوع التحليلي الذي يتم استنباطه من سيرورة الخطاب الروائي، كما أن الابتعاد عن النظرة الإكلينيكية السريرية، يمنح للناقد مجالا واسعا لتحليل الأبعاد النفسية المكونة لعالمه الداخلي المكثف والمتشابك.

قدم **المودن** بين يدي القراء كتابه الموسوم بـ"الرواية والتحليل النصي –قراءات من منظور التحليل النفسي"، ليثبت أن القراءة النفسية واحدة من القراءات النقدية التي استهدفت قراءة النص الأدبي، وهي تنطلق من منهج نقدي نفسي متقن، وذلك في استخدام الأدوات المناسبة من أجل الوصول إلى الغاية المرجوة من النص، وهذا المسعى يسير باتجاه تخليص النقد من الاستيهامات التي يؤسسها التحليل النفسي الفرويدي، "عبر تجاوز المقولات التقليدية التي تحبس النص في ذكرى الطفولة"[5].

الناقد العربي ووضوح الرؤيا المنهجية في النظرية والممارسة:

يقول الناقد المغربي **محمد معتصم** أن **حسن المودن** ينتمي إلى جيل من النقاد عاهد نفسه على العمل على دراسة الأدب العربي من منظور مغاير، والتعريف والإبداع المغربي واكتشاف مناراته، وهو ما نجده في كتبه، ومنها الكتاب الجديد الذي اجتمع حوله الكثير من النقاد، الموسوم بـ"الرواية والتحليل النصي –قراءات من منظور التحليل النفسي"، وقد قدم **محمد معتصم** الناقد مبرزا دوره الفاعل والنشيط في تطوير المدونة النقدية المغاربية الجديدة،

بدراسات وكتب قيمة، تنظر إلى العمل الأدبي والنقد الأدبي كذلك من منظور حداثي متجدد، لا يقف عند ما هو سائد.

يشكل الكتاب كما يقول **حسن المودن** المحطة الثالثة في مشروعه النقدي، بعد ترجمة كتاب **جان بليمان نويل** "التحليل النفسي للأدب"، وكتاب "الكتابة والتحول"، ثم كتاب "لاوعي النص في روايات الطيب صالح"، مستعينا في هذا الأخير بمنهج **جان بليمان نويل** الذي يرى أن "الأدب والتحليل النفسي يفهمان مقاصد الإنسان في حياته اليومية كما في قدره التاريخي، وأكثر عمقا"[6]، وبالتالي فاللاوعي مشروط في ثنايا النص الأدبي، ويتعذر على القارئ فهمه ما لم يأخذ بعين الاعتبار، مسار التحليل النفسي باعتباره مجهودا يسعى إلى خلق مطابقة وتمفصل بين نظرية اللاشعور ونظرية الجنسية ونظرية الذات المتكلمة أو الكاتبة.

اكتشاف النصوص والإنصات لها

محاور الدراسة النفسية[7]

يتألف الكتاب الجديد من مدخل نظري وقسمين تطبيقيين، القسم الأول يتناول موضوعات الأدب الروائي العربي المعاصر، والثاني يدرس أهم أساليب وأشكال التحليل النفسي للشخصيات التخييلية في الرواية العربية، ويضيف الناقد "وفي هذا الكتاب نواصل تجريب منهج نفسي يتميز عن النقد النفسي التقليدي في مقاصده وإجراءاته المنهجية، ويتعلق الأمر بمنهج التحليل النصي الذي يفتح الطريق ليصبح النص الأدبي هو بؤرة التحليل دون إقصاء كلي للكاتب أو القارئ أو السياق..." [8].

لاوعي البطل ولاوعي النص أو التحول من الروائي إلى الراوي

من خلال ما سبق، وانطلاقا من الأطروحات التي قدمها **جان بليمان نويل**، عكف **حسن المودن** على تحليل مجموعة من الروايات، فقد ضم الكتاب دراسات نظرية وتطبيقية، من خلال مقاربة مجموعة من القضايا التي عالجتها تلك النصوص مثل: الكتابة والألم، الكتابة واللامعقول، الكتابة والصحراء، الكتابة وعودة المكبوت، الكتابة والسفر الكتابة والمرأة؛ فضلا عن قضايا نظري مثل: المونولوج الداخلي، المونولوج المسرود ومحكي الأنشطة النفسية غير اللفظية، وذلك من خلال نصوص **محمد برادة**، **مجيد طوبيا**، **إبراهيم الكوني**، **عبد الحي مودن**، **أحمد الكبيري**، **جمال بوطيب**، **الطيب صالح**، **ومبارك ربيع ويوسف العقيد**.

فتحت تطبيقات **جان بليمان نويل** للناقد الطريق ليصبح النص الأدبي بؤرة التحليل باعتباره يتوفر على لاوعي يخصصه ويكشف جوانب من المسكوت عنه وسط سياقات إنتاجه ورغائب واستيهامات مبدعه ومتلقيه، وهذا المقترح المنهجي الذي أسهم **بلميان نويل** في بلورته، حقق إنجازين هامين على الأقل[9].

1- خلص النقد النفسي الأدبي من القيود التي كانت تحول النص إلى ذات مطابقة لذات الكاتب؛ أي أن الهدف الأسمى بالنسبة للناقد هو التوجه نحو النقد التطبيقي الذي يجعل النص

الأدبي بؤرة الاشتغال والتحليل، بخلاف الدراسات النفسية التقليدية، التي تبحث عن عقدة مستندة إلى معطيات شخصية لا صلة لها بجوهر العمل الأدبي، وهي دراسات لا تفيدنا بشيء بل تقضي على النص الأدبي، ولا تساعدنا على اقتراب أفضل من إشكالية الكتابة.

2- أبرز أهمية العناصر المكونة للنص الإبداعي، إذ يرى أن قيمة هذا المقترح المنهجي تكمن في كونه يسمح بإبراز العناصر المختلفة التي تكون النص الروائي من موضوعات وأشكال وتقنيات وأساليب وأخيلة ولغات وعلائق سيميائية تصب في لا وعي، هو بمثابة شريحة من نص أوسع هو لاوعي جماعي، يجعل من الكتابة فضاء تخييليا يشرع نوافذه على المناطق الملتبسة التي تحف مشاعر وتجارب الذات (الكاتبة والقارئة) في علم يمر بالتحولات والارتجاجات العنيفة[10].

تعامل **حسن المودن** أيضا مع مجموعة من النصوص التي تجسد ما يعرف في التحليل النفسي بالرواية العائلية، فكانت الانطلاقة من رواية "المنبوذ" للكاتب السعودي المعاصر **عبد الله زايد**، وكذلك رواية "أفراح القبة" لـ**نجيب محفوظ**، والرواية العائلية مصطلح نفساني وضعه **سيغموند فرويد** في نص أصدره سنة 1909 تحت عنوان "رواية العصابيين العائلية"، وتعتبر **مارت روبير** أول من وظف هذا المصطلح في قراءة النص الأدبي، والرواية أساسا، في كتابها الصادر سنة 1972 تحت عنوان "رواية الأصول وأصول الرواية"، وبالتحديد في حديثها عن "العمر رواية"[11].

تبدأ الرواية مع بدايات الشعور، وتنجز على مرحلتين لا تفصل بينهما حدود، والرواية الأولى هي رواية الإبن اللقيط الذي لم يتجاوز الثالثة من عمره، ولا يميز بين الذكر والأنثى، إذ الأب والأم متجانسان وليس بينهما فوارق جنسية.

أما الرواية الثانية فهي رواية الإبن غير الشرعي الذي يسمح له عمره –وهو بين الثالثة والخامسة- أن يعي جسده، ويدرك الفرق بين الذكر والأنثى[12]، فيجد أن القوة بجانب الأب الذي يرمز للقوة والسلطة أيضا، في حين تكون الأم في الجانب الذي لا تقوى فيه على انتزاع منزلة الأب، فيتعاطف معها وينشأ الإحساس بضرورة احتلال مكان الأب، وهو ما يستدل عليه **فرويد** عندما يقول أن الطفل تتملكه رغبة في قتل أبيه وامتلاك أمه.

من هذا المنطلق رأى الناقد **حسن المودن** أن **مارت روبير** تصنف الأدب إلى صنفين: أدب "العالم العائلي المعثور عليه"، وأدب "مواجهة العالم العائلي المعيش"، ولا شيء يمنع الأدب السردي –يضيف الناقد- في افتراضي من انتهاك هذا التصنيف، وذلك بأن يتركب نص سردي ما، وبطرقه الخاصة، من الحكايتين معا[13].

حلل الناقد الرواية متقصيا خطوات المنهج، وبدقة كبيرة حلل أطراف الصراع في النص، والذي يرى فيه أن المنبوذ يجد نفسه مرغما على الانفصال عن عالمه العائلي الأصلي فهو لم يختر يوما الابتعاد عن عائلته، قدر ما يجد نفسه مجبرا على الرحيل والهجرة بعيدا[14].

تكلم الناقد أيضـــا على الرواية العائلية في أعمال **نجيب محفوظ**، إذ يقول "ونفترض أن ما يؤكد أهمية العنصر العائلي في الرواية العربية الحديثة والمعاصرة هو روايات من وصفه بعض النقاد ببلزاك الرواية العربية: نجيب محفوظ، ذلك لأن أغلب رواياته، إن لم يكن كلها هي روايات يؤدي فيها عنصر العائلة دورا مركزيا"[15].

"أفراح القبة" هي الرواية التي اختارها الناقد من أعمال **نجيب محفوظ** لتأكيده على أنها تتميز بخصائص جديدة، إن على مستوى الشكل أو على مستوى المضمون، وقد اختزلها في ما يلي:

1- نحن أمام رواية تريد أن تقول "الرواية العائلية" من خلال جنســين أدبيين داخل الكتاب الواحد: الرواية والمسـرح، كأنما الرواية العائلية لا يمكن أن تقال إلا من خلال أجناس متعددة، أو من خلال محكي عابر للأجناس.

2- هل يمكننا أن نخلص إلى أن "الرواية العائلية" في الكتابة الروائية العربية الحديثة، وروايات **نجيب محفوظ** بالأخص، وإن عرفت تحولا على مســتوى الشــكل الفني، فقد بقيت تتأرجح، على مستوى المضمون، بين حكايتين عائليتين: حكاية مواجهة العالم العائلي الواقعي المعيش، وحكاية البحث عن عالم عائلي متخيل أســمى وأنبل، فلا هي عرفت كيف تتحرر من الأول، ولا هي عرفت كيف تؤســس الثاني، أليســت هذه حكايتنا جميعا، نحن أبناء وبنات العرب في العصر الراهن؟[16] وهو ما ختم به **حسن المودن** دراسته.

من الرواية العائلية إلى العقدة الأوديبية، وهذه المرة اختار الناقد النص القرآني، وتحديدا ســورة "يوســف"، ولكن بطريقة مغايرة، إذ آثر أن يقول "عقدة الأخوة أولى من عقدة أوديب"، وذلك أن القصــة لا تركز على علاقة الولد بأبويه، بقدر ما تركز على علاقة أخرى مع أفراد العائلة، فقصة يوسف حسب تحليل الناقد **حسن المودن**، عكس عقدة أوديب باعتبار أن محكي يوسف هو ضد عقدة أدويب، فالأولى تقدم علاقة ثالوث مختلف عن الثانية[17].

إن التعريف المبســط لعقد أوديب، والمتعارف عليه هو "الرغبة المحرمة في امتلاك الأم، وقتل الأب"؛ وتمهيد **جان ستروبينسكي**[18] هو أول دراسة كاملة يكرسها **فرويد** لـــ"أوديب ملكا" من خلال اهتماماته النظرية، حيث يقول **فرويد** في هذا الشـأن "أنا مثل أدويب أو بصـورة أخرى أوديب هو إذن نحن"[19]، فالصــراع هنا يتجســد حول مبدأ الحياة الطفولية الأولى التي تتميز بالأنانية والنرجسية، ويتمنى الطفل زوال كل شخص يكون عائقا، أو يحول دون تحقيق ما يصبو إليه، وآماله في هذه المرحلة تدور حول رغبته الجنســية نحو الأم، وتتكون لديه دوافع عدوانية تجاه الأب بوصفه غريما ومنافسا قويا، يحاول سلب أمه.

أما استعراضنا لأهم مكونات العقدة الأوديبية، يرى **المودن** أن قصة يوسف تفتقر كليا لهذه الصفات من خلال ذكره للعناصر التالية:

الأم: تبقى محجوبة لم تتحدث عنها سورة يوسف سوى مرتين في بداية السورة ونهايتها في ظل علاقة الزواج، مع اعتبار أن امرأة العزيز هي التي تمثل أم أدويب في عقدته حسب التحليلات الغربية لقصة يوسف، بينما يرى الناقد **المودن** العكس.

الأب: أوديب غير مرغوب من أبيه، أما يوسف فهو ولد محبوب لدى أبيه ومقرب منه، أوديب يقتل أباه، ويوسف لم يفعل ذلك، بل كان قميصه هو من أنقذ أباه من العمى والمرض.

الأخوة: العلاقة المركزية في قصة يوسف هي العلاقة الأخوية، ففي عقدة أدويب الأب بدون أبناء، بينما في قصة يوسف الأب لديه 11 ابنا آخر غير يوسف[20].

اعتبر الناقد قصة يوسف تجسيدا فعليا لعقدة الأخوة... لأن العنف مصدره الأخوة والصراع كان حول شيء معين وهو حب الأب (عكس العقدة الأوديبية كره الأب) وحب امتلاك الأم، وهو ما لم تصرح به القصة، في حين أن عنا صر العقد الأوديبية تتوفر في روايات **نجيب محفوظ**، التي حلل فيها الناقد "السلوك الإنساني" وذلك في رواية "السراب"[21] التي تنتمي إلى الدراسات النفسية والتي تربط النص بصاحبه، وتلج إلى ذاتية الكاتب، إلا أنه –الناقد- سرعان ما انكب على دراسة النص في ذاته، إذ يقول أثناء تحليله لرواية "الضوء الهارب": "الأهم أننا، في النقد النفسي الأدبي ومنذ أكثر من عقدين بصدد تحول من (لاوعي) المؤلف إلى (لاوعي النص)، ويدل هذا التحول النوعي على أننا أمام مفترض أساسي ترتكز عليه المقاربة النقدية النفسية: مفترض ينقل الاهتمام من المؤلف إلى النص"[22].

وبهذا يكون الناقد **حسن المودن** قد وضع بصمة خاصة في عالم النقد النفسي وليس التحليل النفسي ليدرج اسمه مع الناقد العربي السوري **جورج طرابيشي** في مدى استيعابهما لآليات المنهج.

الإحالات و الهوامش:

[1]– إبراهيم فضل الله، علم النفس الأدبي مع نصوص تطبيقية، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2011، ص 09.

[2]– سيغموند فرويد، خمس دروس في التحليل النفسي، ترجمة: جورج طرابيشي، طار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1979، ص 56.

[3]– جورج طرابيشي، الرجولة وإيديولوجيا الرجولة في الرواية العربية، دار الآداب، بيروت، ط1، 1983، ص 01.

[4]– جورج طرابيشي، الروائي وبطله –مقاربة اللاشعور في الرواية العربية، دار الآداب، بيروت، ط1، 1995، ص 02.

[5]– عمرو عيلان، النقد الجديد والنص الروائي العربي، ص 13.

[6]– جان بليمان نويل، التحليل النفسي والأدب، ترجمة: حسن المودن، ص 10.

[7]– حسن المودن، الرواية والتحليل النصي –قراءات من منظور التحليل النفسي، ط1، 2009، ص 07.

[8]– محمد معتصم، تقديم كتاب الرواية والتحليل النصي، أمسية ثقافية، 07 سبتمبر.

[9]– عبد النبي ذاكر، قضـــايا التحليل النفســـي للأدب في النقد ونقد النقد بالمغرب، الملتقى الدولي الثالث حول الخطاب النقدي العربي المعاصر، المركز الجامعي خنشلة، الجزائر، 03-05 ماي 2008، ص 199.

[10]– حسن المودن، الرواية والتحليل النصي، ص 220.

[11]– مارت روبير، رواية الأصول وأصول الرواية –الرواية والتحليل النفسي، ترجمة: وجيه أسعد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1987، ص 12.

[12]– فيصـل دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضـاء، المغرب، ط1، 1999، ص 94.

[13]– حسن المودن، الرواية والتحليل النصي،ص 208.

[14]– المرجع نفسه، ص 209.

[15]– زهور كرام ومحمد بركات، نجيب محفوظ والنقد المعرفي، منشورات دار الأمان، الرباط، 2013، ص 138.

[16]– المرجع نفسه، ص 141.

[17]– عزيز العرباوي، الأدب والتحليل النفســي، ندوة نقدية احتفاء بالناقد المغربي حســن المودن، الجديدة، المغرب، 12 أوت 2014.

[18]– جان ستاروبينسكي، النقد والأدب، ترجمة: بدر الدين القاسم، مراجعة: أنطوان المقدسي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1976، ص 261.

[19]– ينظر: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، ترجمة: رضـــوان ظاظا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997، ص 76.

[20]– عزيز العرباوي، الأدب والتحليل النفسي، ندوة نقدية احتفاء بالناقد المغربي حسن المودن.

[21]– محمد مسباعي، تفسير السلوك الإنساني في روايات نجيب محفوظ، دار هومة، الجزائر، ط1، 2004، ص 269.

[22]– حسن المودن، لاوعي نص الرواية "الضوء الهارب"، الرواية المغربية، أسئلة الحداثة، مختبر السرديات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب، ص 49.